

وقتها أو على اعتدال ما لم يكن في نفسه الغضبية التي هي الحيوانية قوة وجلد. وجوهر هذه القوة التي يقوى بها الإنسان على الصبر والثبات في الأعمال فيما أرى هو الحرارة الغريزية لأن حركة الحرارة الغريزية كلما كانت أقوى "كان الإنسان أحرك (أكثر حركة)"^(٣١). وهو دائما يقارن أخلاق النفس بصحة البدن، فالقوة لا يكتسبها الضعيف بالرياضة كما يكتسبها القوى، كما أن الأبدان السقيمة التركيب التي لاتصبر بالتدبير والرياضة إلى حال الصحة والقوة كذلك في الأُنفس"^(٣٢).

وقد أكد الفلاسفة القدماء على أن الأخلاق لغير الناطقة، وإن كان أرسطو كما يذكر جالينوس يرى أنه قد يشوب الناطقة شيء من الأخلاق، ولكن جلها في التي ليست بناطقة. وقد بينت ذلك في الكتاب الذي وضعته في "آراء أبقرات وأفلاطون"، وأوضحت هناك أن للإنسان شيئا به يكون الفكر، وشيئا غيره به يكون الغضب، وشيئا ثالثا به تكون الشهوة. ولست أبالي كيف قيل في هذه الثلاثة أشياء في هذا الكتاب، إنها أنفس مختلفة، أو أنها أجزاء لنفس الإنسان، أو أنها به تكون الفكرة النفس الناطقة، والنفس المفكرة، كان ذلك الشيء نفسا مفردة، أو جزءا، أو قوة، والشيء الذي يكون به الغضب، والنفس الغضبية، أو النفس الحيوانية، والشيء الذي به تكون الشهوة، أو النفس النباتية.

ويعرض في المقالة الأولى النظرية العامة للسلوك الأخلاقي، ويميز بين: حالات نفس الإنسان الممدوحة وتسمى فضيلة، والمذمومة وتسمى رذيلة. وهذه الحالات تنقسم إلى قسمين: منها ما يحدث للنفس من بعد الفكر، والروية، والتميز فيقال لها معرفة، أو ظن، أو رأى، ومنها ما يعرض في النفس من غير فكر فيقال لها أخلاق، ومن الأخلاق ما يظهر في الأطفال أول ما يولدون قبل وقت الفكر. ويبين أنه لا يوجد شيء من الأفعال، ولا من العوارض، ولا من الأخلاق في الإنسان إذا استكمل، إلا وقد يوجد فيه في وقت صباه"^(٣٣).

(٣١) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٣٢) نفس المصدر، ص ٢٣٢.

(٣٣) المصدر السابق، ص ٢٢١.